

فورين أفيرز: خسائر سعودية كبيرة بالعالم الإسلامي بسبب كورونا



التغيير

نشر موقع "فورين أفيرز" مقالا للصحفية، كريثيكا فارغور، قالت فيه إن وباء فيروس كورونا يهدد طموحات آل سعود في المنطقة، والعالم.

وأشارت مؤلفة كتاب "الدعوة: في داخل المشروع الديني السعودي العالمي"، إلى قرار آل سعود المفاجئ في شهر شباط/ فبراير إلغاء تأشيرات العمرة إلى الحرمين، وإغلاق آل سعود الحرمين في مكة والمدينة، ومنع زيارتهما فيما يتوقع لاحقا إلغاء موسم حج هذا العام.

وتحركات سلطات آل سعود لمنع انتشار الفيروس أسرع من دول أخرى ذات غالبية مسلمة، مثل مصر والمغرب وماليزيا، لكن رغم المنافع الصحية فإن سلطات آل سعود ستدفع ثمنا باهظا من الناحية المالية والمعنوية. فالحج يجلب إلى البلد ملايين الدولارات كل عام، ولهذا سيعاني اقتصاد آل سعود طالما استمرت الأزمة.

أما الخسارة غير القابلة للقياس ماديا ، فهي أن الحج والعمرة هما سلاح مهم في القوة الناعمة لمملكة آل سعود بعد عقدين عانت فيهما صورة المملكة من التشويه. وعليه فإلغاء الحج سيكون مؤشرا آخر على تراجع نفوذ المملكة، ففي الشرق الأوسط، يقوّم الفيروس عجلة التاريخ، وفي هذه الحالة نهاية لمحاولات آل سعود قيادة العالم الإسلامي وظهور عالم إسلامي متعدد القطبيات.

وتابعت بأنه منذ الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي حاولت حكومة آل سعود تشكيل العالم الإسلامي على صورتها. وعمل الملك فيصل الذي حكم ما بين 1964 و1975 على بناء سياسة خارجية تدفعها فكرة "التضامن الإسلامي"، وهو طموح قوي لدولة ظهرت للوجود عام 1932.

ومن هنا كرست سلطات آل سعود على مدى العقود اللاحقة عددا من اللاعبين، من وزارة الشؤون الدينية إلى رابطة العالم الإسلامي ورجال الأعمال الأثرياء والأمراء الذي أسهموا بنشر "الدعوة" وهي التفسير الديني القائم على تعاليم محمد بن عبد الوهاب الرافض للبدع والشرك وزيارة القبور والمعادي للشيعية والقاديانية.

ووصل المشروع السعودي العالمي إلى ذروته أثناء الحرب الباردة وأثناء المنافسة مع الاتحاد السوفيتي. وكتب وزير الخارجية الأمريكي السابق هنري كيسنجر، مثنيا الدور السعودي في مذكراته آنذاك.

وبمساعدة من آل سعود دعمت الولايات المتحدة حركة الجهاد الأفغاني أثناء الحرب السوفيتية-الأفغانية في حقبة الثمانينيات والتي شارك فيها مقاتلون أجانب من كل أنحاء العالم. وبعد هجمات 9/11 التي شارك فيها 15 سعوديا من 19 منفذا أصبحت دعوة آل سعود خطرا ومنبعا للإرهاب.

وصحيح أن أجهزة الدعوة من فترة الدعوة الذهبية ما بين 1973 و1990 استمرت بأعمالها في عدد من الدول وعبر المدارس والملحقين الدينيين المرتبطين بالسفارات وجمعيات الإغاثة أثناء الحروب في بلدان مثل البوسنة وكوسوفو، إلا أن الرقابة الدولية على المساعدات المالية من نظام آل سعود أدت إلى خسارة هذه المؤسسات الدعم والنفوذ. ولاحظت الجمعيات التي كانت تتلقى الدعم السعودي من كوسوفو إلى إندونيسيا ونيجيريا تراجعا في التمويل بعد 2001.

ونقلت الكاتبة عن مدير فرع رابطة العالم الإسلامي في نيجيريا، فضل الخلد، قوله إن مساعدات آل سعود قلت بشكل كبير حيث بدأت سلطات آل سعود بتحقيق مشدد في أعمال الجمعية، وكان عليه فصل كل الموظفين

في فرعه، ليدبره بنفسه.

وواجهت سلطات آل سعود مشاكل تتعلق بتراجع أسعار النفط في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين وانهيار أسعاره عام 2014.

وبدأت طموحات آل سعود بالخفوت في وقت بدأت فيه دول إسلامية أخرى بنشر تفسيرها وأجندتها الإسلامية، مثل تركيا التي حاولت الاستثمار في مناطق الدول العثمانية السابقة في البلقان، ومناطق أخرى بعيدة مثل وسط آسيا ومنطقة الساحل والصحراء.

وتقول الكاتبة، إن إمكانية إلغاء الحج بسبب فيروس كورونا سيكون حدثا نادرا، فمع أن الحروب والمجاعات والأوبئة عطلت الحج من القرن الثامن حتى القرن التاسع عشر إلا أنه لم يعطل منذ الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت في عام 1798 على مصر والتي جعلت من الحج مستحيلا، فيما تتوقع الكاتبة تأثر مواسم الحج في الأعوام المقبلة.

من جهة أخرى، سيؤثر كوفيد-19 على التبادل الطلابي، وهو وسيلة مفيدة لدعوة آل سعود، فالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي أنشئت عام 1961 بهدف توفير فرص دراسة للطلاب المسلمين وتحضيرهم للدعوة السلفية تعتمد على السفر في المقام الأول، وأصبح طلابها السابقون مؤثرين في كوسوفو ما بعد الحرب حيث أصبحوا دعاة لنشر السلفية.

وفي نيجيريا درس جعفر آدم أهم سلفي في هذا القرن بالجامعة الإسلامية. وكان أهم تلامذته محمد يوسف وهو من أسس حركة بوكو حرام المتطرفة.

وفي الوقت الذي تتراجع فيه جهود آل سعود في مجال الدعوة تقوم دول أخرى بزيادة جهودها، فحققت الدعوة بات مزدحما حيث زادت قطر والكويت والإمارات العربية المتحدة من نشاطاتها.

ودعمت الإمارات الجماعات الصوفية، أما قطر فتدعم التيارات التي تعبر عن تفكير الإخوان المسلمين. ودعمت جماعات مثل الجيش السوري الحر وحركة حماس، وقدم اتحاد علماء المسلمين فتاوى ونصائح من مدرسة الإخوان.

وفي الوقت نفسه تنظم الإمارات مؤتمرات دولية تدور حول علماء صوفيين مثل الموريتاني عبد الله بن بيه.

وفي تركيا تدعم مديرية الشؤون الدينية التركية حملات إعادة ترميم المشاهد الإسلامية وتنظم رحلات الحج للمسلمين في البلقان.

ولن يكون لأي من هذه الجهود الأثر الذي تركه المشروع السعودي في القرن العشرين، والذي قوى من التفكير السلفي والأفكار المعادية للشيعة وبذر بذور السلفية الجهادية. وفي مرحلة ما بعد كوفيد-19 سيكون من الصعب على دولة إسلامية بعينها مراكمة التبادل الدولي الذي أدى لنجاح آل سعود في القرن العشرين.